الباب الثالث

النظرية السيمائية لميكائيل ريفاتير

أ. مفهوم الشعر

الشعر أو الشعر هو تعبير عن مشاعر القلب التي يقوم بها الشعراء على شكل مقاطع شعرية. مع قصيدته، أراد الشاعر أن يعبر عن شيء ما له.[١] إنه قول موزون مقفى يدل على معنى، والأسباب المفردات التي يحيط بها حد الشعر، وهي اللفظ والمعنى والوزن والتقفية.[٢]

الشعر من الفنون الجميلة التي يسميها العراب الآداب الرافيعة، وهي الحفر والرسم والموسيقس والشعر. ومرجعها إلى تصوير جمال الطبيعة، فالحفر يصورها بارزة، والرسم يصورها مسطحة بالاشكال والخطوط والالوان، والشعر يصورها بالخيال ويعبر عن اعجابنا بها

[1] Ida Nursida, *Puisi Cinta dalam Sastra Sufi*, (Kota Serang Baru: Laksita Indonesia, 2016), p.31

[٢] أحمد الشايب، *أصول النقد الأدبي*، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٤ م)، ص.٢٩٥

وارتياحنا اليها الألفاظ. والموسيقي كالشعر هو يعبر عن جمال الطبيعة بالافاظ والمعاني، وهي تعبر عنه الأنغام والألحان، وكلاهما في الأصل شيء واحد.[٣]

ب. مفهوم السيميائية

عرف السيميائي في العقود الأخيرة من القرن العشرين تحولات عدة في التعاطي مع الخطاب الشعري الحديث على وجه الخصوص، هذا ما آثر العديد من الإشكالات في كيفية مقاربة النص الأدبي مقاربة واعية علي مستوى الأدوات الإجرائية، أو على مستوى التأويل واستنطاق النص بشكل لا يفسد دلالة المعاني الحقيقة للبني العميقة.[٤]

تؤكد معظم الدراسات اللغوية أن الأصل اللغوي لمصطلح *"semiotique"* يعود إلى الأصر اليوناني، فهو آت-كما يؤكد (برنار

---

[٣] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية الجزء الأول، (بيروت: دار الهلال)، ص.٥٠

[٤] قمر صفا، *قصيدة "أحبك جدا" لنزار قباني (دراسة سيميائية)*، (بندا أتشية: جامعة الرانيري الإسلامية الحكومية، ٢٠١٧ م)، ص.١٤

توسان) من الأصل اليوناني *"semeion"*، الذي يعني "علامة" و *"logos"* الذي يعني "خطاب" وبامتداد أكبر كلمة *"logos"* يعني العلم، فالسيمولوجيا هي علم العلامة.[٥]

قبل الغوص في الحديث عن النظرية السيميائية في البيئة النّقدية العربيّة لابد أن تعرّج عليها في عالمها الغربي من حيث نشأتها ومفهومها بالنسبة لقطبين من أقطابها الغربيين وهما: فيرديناند دي سوسير وشارل ساندرس بيرس، حيث احتلّت السّيميائية في المشهد النّقد الغربي مكانة مميزّة، بوصفها ذلك النشاط المعرفي الذي له أصوله وامتداداته، وتستمد هذه النظرية أصولها ومبادئها من مجموعة من الحقول المعرفية كاللّسانيات، والمنطق، والتحليل النّفسي والأنثر وبولوجي، وبهذا كان لهذه الحقول دور كبير في التّأسيس لمفاهيمها وطرقها التحليليّة.[٦]

---

[٥] فيصل الأحمر، *معجم السيميائيات*، (لبنان: منشورات الإختلاف، ٢٠١٠م)، ص.١٢

[٦] فاطمة الزهراء فايدي، *النّظرية السيميائية وتجلياتها في النقد العربي الحديث*، (جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة: ٢٠١٤)، ص.٢٥

إذا المصطلحان (سيميولوجيا/سيميوطيقا) مترادفان في المعجم الموسوعي لعلوم اللّسان فكلمة سيميوطيقا الّتي جاء بها الفيلسوف الأمريكي شارل ساندرس بيرس، والّتي تعود مرجعيّتها إلى المنطق هي مرادفة لكلمة سيميولوجيا التي جاء بها العالم السويسري سوسير والتي تعود مرجعيّتها إلى اللسانيات، فهما وجهان لمفهوم واحد، وموضوعهما هو دراسة الأنظمة العلاميّة المختلفة، اللّغوية منها وغير اللّغويّة.[٧]

ثم تهتهم السيمياء *semiotique* المنحدرةمن البنيوية الأوروبية منذ عذة سنوات بالكنه والذات والمتصل *continu* والإدراك الحسي. وبشكل مواز، أدت الأبحاث الفردية والجماعية المتعلقة بالبعد العاطفي للخطاب إلى تعديل شامل لنظرية المعنى يتجاوز بصورة كبيرة مجال البحث الذي تعاينه هذه النظرية، فهناك من تحدّث، منهم للتعبير عن

[٧] فاطمة الزهراء فايدي، *النّظرية السيميائية وتجلياتها في النقد العربي الحديث*، ...ص٣٢

ابتهاجهم ومنهم عن قلقهم، عن "نموذج جديد" أو عن "سيمياء جديدة".[٨] المعروف عن كتابات السيميائيين ازدحامها بالمصطلحات. قال أحد النقاد، بعباراة لا تخلو من البراعة: "تخبرنا السيميائية عن أشياء نعرفها، لكن بلغة لن تفهمها أبدا".

قد يبدو أنّ السيميائيين يؤلفون ناديا خاصا، لكن إهتماماهم لا تعنيهم من دون غيرهم. لا يجدر بأي امرئ يهتمّ بكيفيّة تمثيل الأشياء أن يتجاهل معالجة تركز على سيرورة التمثيل وتطرح إشكالاته. حتى الذين لا يقبلون بموقف أنصار ما بعد الحداثة – أنّ لا وجود للواقع خارج منظومات الإشارات – قد تساعدهم السيميائية على أن يعوا أكثر دور الوسيط الذي تقوم به الإسارات، والأدوار التي نقوم بها نحن والآخرين في تشييد الواقع الاجتماعي. وقد يقلّل ذلك من احتمال أن نكون متأكّدين من أنّ الواقع بأجمعه مستقلّ عن التفسير

[٨] جاك فونتاني، *سيمساء المرئي*، (سورية: دار الحوار، ٢٠٠٣ م)، ص.٩

البشري له. وقد يقودنا تفحّص منظورات السيميائية إلى الإدراك أنّ المعلومات، أو المعاني، لا "يحتويها" العالم أو الكتب أو الحواسيب أو وسائل الاتصال السمعيّة البصريّة.[٩]

إن السيميائيات علم واسع وشامل وجامع في طياته لكثير من العلوم، ولذلك فالمجال السيمائية لا يزال الناس فيه بين أخذ ورد، بسبب أنه لم يحدد بعد حقا، فإنه من الصعب جدا وضع مفهوم محدد للسيمائية، هذه الأخرة التي يعلم الكل أنها يعني "علم العلامات" لكن المشكلة متعلقة بهذه العلامات، التي هي أصول الوجود، التي تمسي جل جوانبه.[١٠]

نظرة السيميائيات إلى النص الأدبي بهذه الطريقة مردها إلى أنها لا تفصل "بين الظاهرة التجريبية الواحدة، والمحيط العام الذي تظهر

---

[٩] دانيال تشاندلر، *أسس السيميائية*، (بيروت، المنظمة العربية الترجمة، ٢٠٠٨)، ص.٤٢-٤٣

[١٠] فيصل الأحمر، *معجم السيميائيات*، ... ص.١٦

فيه، بل تفترض شبكة من الأنساق المتداخلة، تضع هذه الظواهر في وحدة كبرى تتألف من كلية هذه الأنساق المختلفة، فتداخل وتتعارض وتتقاطع في بعض المواضع، وتتباعدفي بعض المواضع الأخرى". أما عن المنهجية المتبعة في تحليل النصوص سيميائيا فتنحصر في ثلاثة مستويات هي:

١. التحليل المحايث: ويقصد به البحث عن الشروط الداخلية المتحكمة في تكوين الدلالة، وإقصاء كل ماهو خارجي إحالي؛ أي أنه يجب أن ينظر إلى المعنى على أنه أثر ناتج عن شبكة من العلاقات الرابطة بين العناصر.

٢. التحليل البنيوي: وينظر من خلاله إلى المعنى باعتباره مكتس لوجوده بالاختلاف وفي الاختلاف، وبالتالي فإن إدراكه يفترض وجود نظام مبني على مجموعة من العلاقات، تتوقف عليها دلالة

النص، كما يتطلب التحليل البنيوي الدراسة الوصفية الداخلية للنص ومقاربة شكل المضمون وبناء الهيكلية والمعمارية.

٣. تحليل الخطاب: حيث أن السيميائيات تتجاوز دراسة الجملة إلى تحليل الخطاب، شأنها شأن المدارس النقدية الأخرى، التي لم تتوقف عند حدود الجملة التي توقفت عندها اللسانيات.

بسبب هذه المنهجية المحكمة التي تتبعها السيميائيات في تحليل النصوص اعتبرت النظرية السيميائية كما يقول "حاتم الصكر" الأكثر اقترابا في تحليل النصوص بقواعد واضحة، ومفاهيم متشعبة... فرؤية السيميائيين للنص تنطلق من كونه عبارة عن سبكة من الشفرات يقوم القارئ بفكها.[١١]

مما يدل على أهمية هذا المصطلح أن الكثيرين يسمون هذا العلم بعلم العلامات ومن هؤلاء بيرس الأمريكي الذي يميز بين أنواع

---

[١١] فيصل الأحمر، *معجم السيميائيات*، ... ص.٦٠-٦١

العلامات فيقول إنها ثلاثة أنواع هي: العلامة الأيقونية: Iconic Sign مثل الصور والرسوم البيانية، والخرائط، والنماذج والمجسمات. وهي التي بينها وبين ما تدل عليه محاكاة، أي هي تحاكي ما تشير إليه. وقد تكون هذه المحاكاة عالية كما في الصور التلفزيونية. أو منخفضة كما في اللوحات السريالية والأحلام وبعض مفردات اللغة التي تحاكي معانيها كأسماء الأصوات. العلامة الإشارية: Indexical Sign وهي التي بينها وبين مدلولها تلازم مشهود مثل: دلالة الدخان على النار، ودلالة آثر الحيوانات عليها، وكذلك آثر المجرمين. الرمز أو العلامة الاصطلاحية Symbol وهي ما اتفق عليه مجموعة من الناس بناء على اصطلاح معين وليس بينها وبين ما تدل عليه أي محاكة مثل: إشارات المرور والعلامات الموسيقية وكذلك الكلمات المفردة في أي لغة.[١٢]

---

[١٢] عبد الله حمود الفقيه، *السيميائيات بين بيرس ودي سوسيير*، (الحصول عليه: في التاريخ ٢٥ سبتمبر ٢٠١٨ في الساعة: ٢١:٢٤)، (Elriwak.blogspot.com)

ج. النظرية السيميائية ليمكائيل ريفاتير

ميكائيل ريفاتير هو الناقد الأدبي والأستاذ الجامعي، حاصل على شهادة الدكتوراة من جامعة كولوبيا سنة ١٩٥٥، كرس حياته لدراسة الأدب. إن السيميولوجية لميكائيل ريفاتير تتأثر عليها النظرية البنيوية لدى فردينان دي سوسير.

ويتفق ميكائيل ريفاتير مع الشكليين الروس في النظرية إلى الشعر بوصفه استخداما خاصا للغة، فاللغة العادية عملية تستخدم للإشارة إلى نوع من الواقع، أما اللغة الشعرية فتركز على الرسالة بوصفها غاية في ذاتها.[١٣]

وهنا الأفكار غير مباشر بسبب ثلاثة أحوال:

الاول: إستبدال المعنى Displacing of meaning بسبب استخدام التسبيه والاستعارة.

---

[١٣] ستي نيندين فوزية، *الشعر الصوفي احفظ فؤادك لابن الفارض دراسة سيميولوجية لميكائيل ريفاتير*، (جاكرتا: جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية، ٢٠١٦)، ص. ١٦

الثاني: الشذ من المعنى distorting of meaning

الثالث: إبتكار المعنى creating of meaning الذي يوجد في النص لا يملك المعنى في علم اللغة، بل يوجد المعنى في الشعر، كما وجد في القصيدة باستخدام العروض، والرباعية، والموشّة والقافية.

كان اهتمام السيميائية بالتلقى اهتماما كبيرا حتى أن ميكائيل ريفاتير طوّر طريقة سيميولوجية خاصة بالقراءة جاعلا منها قرائتين، إحداهما: استكشافية (هيرسطيقية) والأخرى استرجاعية (هيرمنيطيقية). ففي الاستكشافية يقوم القارئ بالتعرف على المعانى الأولية لشيفرة القصيدة. وفي الإسترجاعية لا يكتفي بالتعرف على المعانى الأولية وإنما يقوم بتفسير الشيفرة. وتأويلها لافتا النظر إلى المعانى الثانوية التى

يتوصل إليها عن طريقة التأويلات.[١٤] ثمّ بحث المصفوفة (Martiks) والنموذج (Model) والمتنوّعات (Varian) وهبوغرام (Hipogram).[١٥]

لهذا المادة أن تعيننا على توضيح بعض مبادئ الخابهطاب الشعري كما صاغها (ميشال ريفاتير) في كتابه (سيمياء الشعر). ان الكيفية التي تنمو بها القصيدة من الاغنية الشعبية باستخدام النفي negation أو التقديم والتأخير Invesion هي احدى السمات النمطية في الخطاب الشعري. فالنصوص تنبشق من نصوص متداخلة Intertexts آخر، أو من قوالب Matrices يقدمها الموروث المتواتر وما يطوره مرون في مادته هو ايضا شعري في هره طبقا لمعايير ريفاتير التي اقبل بها الى حد معقول. ما يفعله مرون بمادة القصيدة النواة هو انتقاله

---

[١٤] ستي نيندين فوزية، *الشعر الصوفي احفظ فؤادك لابن الفارض دراسة سيميولوجية لميكائيل ريفاتير*، ... ص. ١٧-١٨

[15] Rina Ratih, *Teori Aplikasi Semiotik*, (Yogyakarta: Pustaka Pelajar, 2016), p.9.

التدريجي من النشري الى الشعري، فبل ان يتراجع إلى الخطاب النثري في البيت الاخير الذي غيرت المادة السابقة هيئته الان.[١٦]

ويفترح ميكائيل ريفاتير في كتابه "سيمياء الشعر" (١٩٧٨م) قراءة سيميائية لدراسة النص الأدبي، متجاوزا قراءة البنيويين للنصوص الأدبية، ليربط القراءة السيميائية باستكشاف البنيات الأساسية المولودة للنصوص على غرار النحو التوليدي، الذي يعنى بدراسة البنى العميقة التي تتحكم في البني السطحية للجمل. وفي هذا النطاق، يقول دافيد كارتر في كتابه: "النظرية الأدبية" يهاجم ميكائيل ريفاتير تفسير كل من جاكبسون وليفي شتروس لقصيدة بودلير: "الدردشات".[١٧] وقال ميكائيل ريفاتير في كتابه "سيميوطيقا الشعر" منذ البداية حتى الآن كان الشعر تتغير لغته وصيغته الفنية. إنه يرى أن الشعر هو مظهر من

---

[١٦]روبرت شولز، *السيمياء والتأويل*، (بيروت: المؤسسة العربية لدراسات والنشر، ١٩٤٤)، ص.٧٩.

[١٧]جميل حمدوي، *نظريات القراءة أو التلقي*، (الحصول عليه: في التاريخ ١٨ اكتوبر ٢٠١٨ في الساعة: ١٠:٢٥ bookfile alnaqedwww.alukah.net

مظاهر انشطة اللغة تختلف عن اللغة العامة. إن الشعر يعبر عن مفاهيم وأشياء تعبيرا غير مباشر وباختصار، إن القصيدة تقول شيئا وتعنى شيئا آخر.[١٨]

تستند السيميوطيقا الأسلوبية لجورج مولينيي إلى عدة مراجع نظرية ومصادر معرفية ونقدية ولسانية، تتمثل بالخصوص في م كتبه سميوطيقيو مدرسة باريس (كريماص، وجوزيف كورتيس، وجان كلود كوكي، وجاك فونتاني)...، ميشيل ريفاتير، وميشيل شارل، وآيزر، ويوس... حول جمالية القراءة وبلاغتها وسيميائيتها. علاوة على الكتابات اللسانية والأسلوبية والبنيوية الشعرية، كما يبدو ذلك جليا عند رومان جاكبسون (R.Jakobson)، وإميل بنيفينست (E.Benveniste)، ولوي هلمسليف (L.Hjelmeslev)، وميشيل ريفاتير

---

[١٨] ستي نيندين فوزية، *الشعر الصوفي احفظ فؤادك لابن الفارض دراسة سيميولوجية لميكائيل ريفاتير*، ... ص.١٦

(M.Riffaterre)، وكايت هامبورغر (K.Hamburger)، وتزتيفان تودوروف...(T.Todorov).[١٩]

إذا حاولنا أن نبحث عما يقابل السيميوزيس التى هي صلب النظرية السيميائية الأمريكية وبخاصة لدى بورس وموريس في مشروع السيميولوجية لدى دو سوسير فسنلفي أن دارة الكلام هي منطلق لكل تحليل سيميائي، ولكل الفعل المعنى acte semique بداية لكل نشاط سيميائي حسب برييطو، غير أن التحليل المعنى لا ينبغي أن يلتبس بالدلالات المفتوحة. علما بأن مسعى اللسانيات الإثنية في أمريكا وجه أنظار الباحثين إلى إثنو غرافيا الاتصال التى صار مو كولا إليها "أن تثبيت ما إذا كان الاستعمال المكتوب للمنظومة اللسانية، والاتصال بالحركات والإشارات، واستعمال الأداء (النغم) وحتى استعمال الصمت، تشكل أولا تشكل منظومة مع الاتصال اللساني

[١٩] جميل حمدوي، نحو مقاربة سيميوطقية جديدة (السيميوطيقا الأسلوبية)، (الحصول عليه: في التاريخ ١٨ اكتوبر ٢٠١٨ في الساعة: ١٠:٥٤)، www.alukah.net literature_language

الشفهي، وما إذا كانت هذه المنظومة تملك قواعد أدائها الخاصة بها". ومثل هذه المسائل صارت مدار اهتمام التداوليات في تحليلها للخطاب.[٢٠]

وهذا القارئ ميشل ريفاتير Michael Riffaterre لا بدّ أن يكون قارئا مثاليا أو قارئا خارقا للعادة، واسع الإطلاع، قادرا على تسجيل كل إنتباع جمالي بدقة ووعي مع القدرة على إحالته ثانية إلى بنية فعّالة في النص.[٢١]

---

[٢٠] أحمد يوسف، *السميائيات والتواصل*، (الحصول عليه: في التاريخ ١٩ اكتوبر ٢٠١٨ في الساعة ١٥:٤٦ saidbengrad.free.fr...

[٢١] إبراهيم محمود خليل، *النقد الادبي الحديث*، (عمان، دار المسيرة:٢٠٠٣)، ص.١٢٨